

## مفهوم الزمان في الفكر الإسلامي

د. عمر فرج زوراب

جامعة مصراتة / كلية الدراسات الإسلامية

مقدمة:

إن مفهوم الزمان في الفكر العربي القديم يشوبه الكثير من الغموض والاضطراب، وربما نجم هذا الأمر من تعدد المصطلحات الدالة على الزمان وتفرعها، أو من كثرة الآراء التي تعرضت للفكرة في إنكار أو إثبات أو توقف.

ولذا يتوجب علينا قبل أن ندخل في تفاصيل هذه التيارات، القيام بمحاولة رصد كافية لمصطلحات الزمان وتوضيح معانيها ومقاصدها التي ذهب إليها القدماء، حتى نكون على بينة من أمرنا، وعلى ثقة واطمئنان من الأرضية التي نسير عليها سيما وأن مفكرينا القدماء كانوا في تعريفاتهم على قدر كبير من الدقة العلمية.

ولقد قامت معاجم اللغة العربية، وكذلك الموسوعات المتخصصة أو العامة مثل (التعريفات) للحرجاني، و(كشاف اصطلاحات الفنون) للنهاني، و(الكليات) لأبي البقاء، مادة علمية قيّمة في تحديد المصطلحات العربية عامة، والزمانية منها بشكل خاص، ورسمت تعريفاً لها، لأن اللغة هي في النهاية عمل عقلي.

أما الموسوعات فهي تقدم لنا شرحاً دقيقاً لمصطلحات الزمان وأبعادها الفلسفية الدالة عليها، وسوف نبدأ برصد المصطلحات الزمانية في اللغة على أن نتبعه بعد ذلك في الموسوعات لتحديد فلسفياً.

ومن هنا وجب علينا أن نحاول تقديم شيء ولو بسيط يوضح مفهوم الزمان في الفكر العربي الإسلامي بتوضيح دلالاته الفلسفية وذلك بعد أن شابه الكثير من الغموض أو ربما حتى

الإنكار لبعض المصطلحات في هذه المفاهيم، واعتمد فلاسفة الإسلام في ذلك اعتماداً رئيسياً على مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في البحث عن مفهوم الزمان ودلالته الفلسفية والإسلامية والتي تطرقنا لذكرها من خلال هذا البحث الذي نسأل الله أن يعطي إضافة جديدة في مجال الفلسفة الإسلامية .

### أولاً : الزمان في اللغة :

الزمان: جاء لفظ الزمان في (لسان العرب) أن الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، و أزمَنَ الشيء طال عليه الزمن، و أزمَنَ بالمكان أقام به زماناً، وعامله مزامنة ، وقيل الدهر والزمان واحد، وهذا خطأ لأن الزمان زمان الحر والبرد، وهو من شهرين إلى ستة أشهر، بينما الدهر لا ينقطع، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وبهذا تكون السنة أربعة أزمنة، وقد يطلق الزمان على جميع الدهر وبعضه<sup>(1)</sup> .

الدهر : هو الأمد الممدود، وقيل الدهر ألف سنة، والدهر الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، قال الأزهري " الدهر عند العرب يقع على بعض الزمان الأطول ويقع على مدة الحياة كلها" وقولهم دهر داهر كقولهم أبد أبيد<sup>(2)</sup> .

الوقت : هو مقدار الزمان، وكل شيء قدرت له حيناً، وكذلك ما قدرت غايته فهو مؤقت، والوقت مقدار من الدهر معروف، وأكثر ما يستعمل في الماضي، وقد استعمل أيضاً في المستقبل، وقد استعمل "سيبويه" لفظ الوقت في المكان تشبيهاً بالوقت في الزمان، لأنه مقدار مثله، و "موقت" محدود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾<sup>(3)</sup> ونقول:

وقت الشيء بوقته ووقته يقته ، إذا بين حده، ثم اتسع فيه فأطلق على المكان ، فقيل للموضع ميقات<sup>(4)</sup> .

الحين : هو جزء من الدهر، وقيل وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت، يكون سنة أو أكثر من ذلك، وخص به بعضهم أربعين سنة أو سبع سنين أو ستة أشهر أو شهرين، ويراد به الوقت أيضاً<sup>(5)</sup> .

والحين، المدة، ومنه قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾<sup>(6)</sup> . والحين وقت من الزمان ، قال " الأزهري " وجميع ما شاهده من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان، وأن المعنى في قوله عزل وجل : ﴿ تُوَيُّبٌ أَكُلُّهَا كُلٌّ حِينٌ ﴾<sup>(7)</sup>؛ أنه ينتفع بها في كل وقت، ويطلق الحين أيضاً على يوم القيامة<sup>(8)</sup> .

المدة : هي الغاية من الزمان ومكان، ويقال لهذه الأمة مدة أي غاية في بقائها، ومدة من الزمان، برهة منه، والمدة طائفة من الزمان تقع على القليل والكثير<sup>(9)</sup> .

كما أننا يمكن أن نشق من الفعل (مدّ) لفظ (الامتداد)، كما نشق منها (المدة) بمعنى الزمان، ومثل هذا لاحظناه في مصطلح الوقت، فتكون (المدة) حاوية لبعدي الزمان والمكان، وهذا من عبقرية اللغة العربية .

الآن : آن الشيء حان لغة، والألف والألم فيه زائدة، لأن الاسم معرفة بغيرهما<sup>(10)</sup> .

أبد : الأبد الدهر والجمع آباد وأبود، وأبد أبيض كقولهم دهر ودهير، والأبد الدائم والتأبيد والتخليد<sup>(11)</sup> .

الأزل : بالتحريك القدم ، ومنه قولهم " هذا شيء أزلي " أي قديم .

ثانياً: مصطلح الزمان ودلالاته فلسفياً :

الزمان : يقول "الجرجاني" : إن هذا الزمان هو مقدار حركة الفلك عند الحكماء، أما عند المتكلمين فهو عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال : آتيك عند طلوع الشمس، فإن طلوع الشمس معلوم، ومجيئه موهوم فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام<sup>(12)</sup> .

وعند "أبي البقاء" : الزمان عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء<sup>(13)</sup> .

المدة : هي عند بعضهم الزمان المطلق الذي لا تعدّه حركة، وعند أكثرهم أنه لا توجد مدة خالية عن حركة إلا بالوهم<sup>(14)</sup>، ويستعمل (الرازي الطبيب) المدة بمعنى الزمان المطلق.

الوقت : أكثر من يستعمله هم الصوفية، فهو عند " ابن عربي " (560-638هـ) عبارة عن حالك في زمان الحال، لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل<sup>(15)</sup> .

وعند غيره الوقت : ما يرد على العبد، وينصرف فيه، ويمضيه بحكمه من خوف أو حزن أو فرح ، ولذلك قيل: الوقت سيف قاطع لأنه يقطع الأمر بحكمه، وقد يراد بالوقت ما

حضر من الزمان المسمى الحال، وقد روى "القشيري" عن أستاذه "الدقاق" : أن الوقت ما أنت فيه، فإن كنت في الدنيا فوقتك في الدنيا، وإن كنت في العقبى فوقتك العقبى<sup>(16)</sup>.

أما عند "أبي البقاء"، فالوقت : لغة المقدار من الدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي كالمليقات<sup>(17)</sup>.

الدهر: هو في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ويستعار للعادة الباقية ومدة الحياة، وهو في الحقيقة لا وجود له في الخارج عند المتكلمين ، لأنه عندهم عبارة عن مقارنة حادث لحادث، والمقارنة أصل اعتباري عدي<sup>(18)</sup>.

وعند "ابن سينا" أن الدهر هو المعنى المعقول من إضافة الثبات إلى النفس في الزمان كله<sup>(19)</sup>.

وعند الصوفية: أن الدهر هو "الآن" الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، وبه يتحد الأزل والأبد<sup>(20)</sup>، ويعد الدهر من الأسماء الحسنى<sup>(21)</sup>.

وقد يوجز البعض معنى كلمة الدهر، بأنها تطلق على الزمن المتطاوّل الذي لا تكاد تكون له نهاية، لا من أوله ولا من آخره، ومن ذلك جاءت عبارة الدهر الداغر<sup>(22)</sup>.

الدهرية : الدهري هو الذي يرى أن العالم موجود أزلاً وأبداً لا صانع له، وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر<sup>(23)</sup>.

الأبد: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرّة غير متناهية في جانب المستقبل<sup>(24)</sup>

الأزل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرّة غير متناهية في جانب الماضي<sup>(25)</sup>

الأزلي: ما لا يكون مسبوقاً بالعدم، أو ما لم يكن ليس، والذي لم يكن ليس لا علة له في الوجود، ويقسم البعض الموجودات إلى ثلاثة أقسام: فهي إما أزلي وأبدي وهو الله تعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة، وعكسه محال، فإن ثبت قدمه امتنع عدمه<sup>(26)</sup>.

السرمد: دوام الزمان خصوصاً في المستقبل<sup>(27)</sup>

الآن: هو عند ابن سينا طرف موهوم يشترك فيه الماضي والمستقبل من الزمان، وقد يقال (آن) لزمان صغير المقدار عند الوهم متصل بالآن الحقيقي من جنسه<sup>(28)</sup>.

وعند بعضهم الآن اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن وهو معرفة، ولم تدخل عليه الألف والألم للتعريف لأنه ليس له ما يشركه<sup>(29)</sup> وهذا تعريف صوفي للآن. الآنية: هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية<sup>(30)</sup>.

الحين: هو الدهر أو المدة أو أي وقت مبهم، سنة أو أكثر، أو يكون معيناً بشهرين أو ستة أشهر أو سنتين<sup>(31)</sup>.

ثالثاً : مصطلحات تتعلق بمفهوم الزمان والخلق :

وهي المصطلحات التي ترتبط بمشكلة الزمان ومشكلة العالم، ورأينا من الضروري عرض تعريفاتها كما وردت عند المفكرين والفلاسفة المسلمين، حتى تكتمل الصورة لمصطلحات الزمان في الفلسفة الإسلامية، وربما كان أهم تلك المصطلحات هي :

الأحداث : ويقال على وجهين : أحدهما زماني والآخر غير زماني، ومعنى الأحداث الزماني إيجاد شيء بعد ما لم يكن له وجود في زمان سابق، ومعنى الأحداث غير الزماني فهو إفادة الشيء وجوداً، وليس له في ذاته ذلك الوجود، لا بحسب زمان دون زمان، بل في كل زمان كلا الأمرين<sup>(32)</sup>.

الحدوث الذاتي : هو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير<sup>(33)</sup>

الحدوث الزماني : هو كون الشيء مسبقاً بالعدم زمانياً، والحدوث الذاتي أعم مطلقاً من الحدوث الزماني<sup>(34)</sup>.

خلق : عند " ابن سينا " اسم مشترك ، ( فيقال خلق لإفادة وجود كيف كان، ويقال خلق لإفادة وجود حاصل، لا عن مادة وصورة كيف كان، ويقال خلق لهذا المعنى الثاني بعد أن يكون لم يتقدمه وجود ما بالقوة، ليلزم المادة والصورة في الوجود)<sup>(35)</sup> . والمعنى الأخير يفيد الخلق من العدم .

الإبداع : عند "الفارابي" هو ( حفظ إدامة وجود الشيء الذي ليس له وجود بذاته، إدامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع )<sup>(36)</sup> .

وعند " ابن سينا" : الإبداع اسم لمفهومين أحدهما تأسيس الشيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء، والمفهوم الثاني أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب لا متوسط وله في ذاته أن لا يكون موجوداً ، وقد أفقد في ذاته إفقاداً تاماً )<sup>(37)</sup> .

القدم : عند "ابن سينا" يقال على عدة وجوه: (فيقال قدم بالقياس، هو شيء زمانه في الماضي أكثر من زمان شيء آخر هو قدم بالقياس إليه، وأما القدم المطلق فهو أيضاً يقال على وجهين : بحسب الزمان وبحسب الذات ، أما الذي بحسب الزمان ، فهو الشيء الذي وجد في زمان ماضٍ غير متناه، وأما القدم بحسب الذات فهو الشيء الذي ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب ، فالقدم بحسب الزمان هو الذي ليس له مبدأ زمني، والقدم بحسب الذات الذي ليس له مبدأ يتعلق به، وهو الواحد الحق تعالى ، وعند "الجويني" : القدم هو الموجود الذي لا أول لوجوده<sup>(38)</sup> .

ونفس المعنى نجده عند "الجرجاني" وإن بإيضاح أكبر فهو يرى : أن (القدم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القدم بالذات، ويطلق القدم على الموجود الذي ليس وجوده مسبقاً بالعدم وهو القدم بالزمان، وكل قدم بالذات قدم بالزمان، ولكن ليس كل قدم بالزمان قدماً بالذات، فالقدم بالذات أخص من القدم بالزمان، وقيل القدم هو الذي لا أول له ولا آخر )<sup>(39)</sup> .



(القدم الثاني) : هو كون الشيء غير محتاج إلى الغير<sup>(40)</sup> .

(القدم الزماني) : هو كون الشيء غير مسبوق بالعدم<sup>(41)</sup> .

رابعاً : فكرة الزمان في القرآن الكريم والحديث :

كان القرآن ولا يزال، النبع الثرى الذي ينهل منه مفكروا الإسلام على اختلاف طبقاتهم من متصوفة أو متكلمين أو فلاسفة، حيث لم ينظر إليه هؤلاء على أنه كتاب أخلاقي يعني بالجانب العملي من حياة الإنسان المسلم وحسب، بل نظروا إليه على أنه كتاب (ميتافيزيقي) يحدد العلاقة بين الله والعالم والإنسان، ولذا كانت المحاولات الأصلية في الفكر الإسلامي تنطلق ابتداءً من القرآن وتسترشد بهديه .

والقرآن يضم إلى جانب الحقائق الدينية عناصر فلسفية، أو على الأصل أقوالاً تقدم مادة للتأمل ، وفيما يتعلق بالله والخلق والكون والإنسان والقدر وتنظيم الجماعة، نجد أن إشاراته إلى هذه الأمور دقيقة، وتقود اختيار المفكر في اتجاه محدد واضح ، والفلسفة والكلام والتصوف لا يمكن أن تعارض هذه (الأحكام القرآنية) الجوهرية دون أن يخرج من يفعل ذلك عن الإسلام<sup>(42)</sup>

ومن القرآن نجد مجوئاً في العد الإلهي، وعلم خاص بالإنسان (Anthropology)، وعلم بأحوال المعاد، وكذلك فلسفة للطبيعة<sup>(43)</sup> .

والطبيعة وردت في القرآن الكريم بشكل ضمني ، وهي فلسفة ترد الأمور كلها إلى الله، بمعنى أن الله وإن كان مفارقاً ( Transcendent ) فإنه فاعل في صميم الخليقة، ويجب أن يرد

إليه دائماً كل ما يحدث فيها<sup>(44)</sup>، فقد قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(45)</sup>. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(46)</sup>

وبين ثانيا تلك الفلسفة الطبيعية، ترد مشكلة حدوث العالم، وكيف أن الله خلق السماوات والأرض، مما سيرد ذكره بعد قليل، وكذلك ترد الأسئلة الكثيرة التي تلففها الفلاسفة المسلمون بعد ذلك، وبنوا على ضوئها الكثير من نظرياتهم في الطبيعة وما بعد الطبيعة، ومن تلك الأسئلة ما يتعلق بفكرة الخلق، وهل أن الله خلق العالم من عدم؟ وهل المادة قديمة أم محدثة؟ وهل أن الزمان أبدي أزلي أم أنه متناه؟ .

وإلى جانب القرآن هناك مصدر ثان استقى منه الفلاسفة المسلمون أصول فلسفتهم وهو الحديث الشريف، وهو كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو إشارة، وهذا المصدر له تأثير هام أيضاً، أما فيما يخص فكرة الزمان ، فقد وردت عن الرسول ﷺ إشارات عميقة لها ، سوف نعرض لها بعد قليل .

#### أ) فكرة الزمان في القرآن :

لقد وردت في القرآن الكريم على مستويين : الأول هو المستوى الاصطلاحي ، والثاني هو المستوى النظري الفلسفي .

أما المستوى الأول ففيما يخص مصطلح الزمان، فلم يرد بالنص وإنما وردت ألفاظ دالة عليه كالدهر، والحين، والآن، والمدة، واليوم، والأجل، والأمم، والسرمد، والأبد، والخلد، والوقت، والعصر، وغيرها .

فقد وردت كلمة (الدهر) بمعنى الدهر المهلك . قال تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۗ وَمَا هُمْ بِبِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (47) .  
كما وردت أيضاً بمعنى الزمان المتطاول في قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ (48)

والدهر في الأصل اسم لمدة العالم من بدء وجوده إلى انقضائه، ثم يعبر به عن كل مدة طويلة، وهو بخلاف الزمان الذي يقع على المدة القصيرة والطويلة(49)

ونجد في الآية الأولى إشارة إلى طائفة (الدهريين) الذين جمعوا بين إنكار الخالق المدبر وإنكار البعث ويوم القيامة، أما الآية الثانية، فإن كلمة الإنسان فيها تفسير على أنها النفس الناطقة التي تكون موجودة قبل وجود الأبدان، ويرى بعض المفسرين أن الغرض من هذه الآية تبيان أن الإنسان محدث ومتى كان كذلك فلا بد له من محدث قادر(50) .

أما (الحين) في القرآن الكريم ، فقد وردت عدت آيات تشير إليه، منها قوله تعالى ﴿ تُوْفِّي أُوْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (51) وقوله سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (52) .

والحين كما أشرنا يراد به الوقت والمدة من غير تحديد في معناه بقلة أو كثرة(53) فهو يصلح لجميع الأزمان كما في الآية الأولى، أما في الآية الثانية فهو يعني يوم القيامة .

أما (المدة) فقد وردت في القرآن الكريم على أنها القطعة من الزمان قلت أو كثرت، قال تعالى ﴿ فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (54).

و (الأجل) ورد في القرآن الكريم بمعنى المدى المحدودة ونهايتها، أو الوقت المضروب لانتهاؤها المهلة (55)، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (56).

و (الوقت) ورد في القرآن الكريم بمعنى المقدار من الزمان أو كل شيء قدرنا له حيناً، وموقوت بمعنى محدود، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (57)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (58).

ووردت كلمة (العصر) بمعنى الدهر، و(العصران) الليل والنهار، ومعنى العصر هو القوة في صورة ضغطها (59).

قال تعال: ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (60).

ويرى الرازي في تفسيره أن الدهر والزمان في جملة أصول النعم، فلذلك أقسم به الله، كما أن الزمان والمكان هما أشرف المخلوقات عند الله، فكان القسم بالعصر قسماً بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته (61).

أما مصطلح (الآن) فقد جاء في القرآن كاسم للوقت الذي يكون فيه الإنسان ، مثل قوله تعالى : « قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۗ فَذَبِّحْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » (62) ، وقوله : « وَليَسْتَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ » (63) .

وقد لاحظنا أن الصوفية يلتزمون بالتفسير القرآن للآن والذي يربطه بالحال الإنساني .

أما (السرمدية) فقد وردت في القرآن بمعنى الزمان الدائم الذي لا ينقطع ، أو ما لا أول له ولا آخر . قال تعالى : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۗ أَفَلَا تَسْمَعُونَ » (64) .

وقال تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (65) .

و(الخلد) ورد بمعنى (السرمد) أي دوام البقاء ، قال تعالى : « ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ » (66)

أما كلمة (اليوم) فقد وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبمعان متنوعة ، ولكن أكثرها شيوعاً واستعمالاً فيه ما دل على زمن مقرون بحدث من الأحداث ، كيوم القيامة الذي عبر عنه القرآن بعبارات مختلفة (كيوم الدين ، ويوم البعث ، ويوم لا ريب فيه) (67)

قال تعالى : « قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ » (68)

« وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصِرُونَ » (69)

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (70)

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (71)

﴿كَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (72)

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (73).

وقد يعني اليوم زمناً مقدراً يعلمه الله كما في أيام خلق السموات والأرض ، كقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (74).

﴿نَ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (75).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (76).

﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (77).

هذا هو المستوى الأول الذي عالج فيه القرآن مشكلة الزمان وهي معالجة اصطلاحية كما لاحظنا، ولكنها كانت من الدقة والشمول بحيث أفادت الفلاسفة والمتكلمين المسلمين في

تحديد مفهوم الزمان والألفاظ الدالة عليه والمتعلقة به، وساعدتهم أيضاً على الانتقال نحو تأصيل المشكلة وطبعها بالطابع الإسلامي، وهو ما سيتضح أكثر في عرضنا للمستوى الثاني، وهو المستوى الفلسفي .

وفي المستوى الثاني نشير إلى بعض الأفكار الأساسية في مشكلة الزمان، والتي نرى أنها وجهت تفكير الفلاسفة المسلمين وجهة قرآنية :

(1) يمكن أن نجد في القرآن الكريم بوادر التقسيم الذي سيعتمده بعض الفلاسفة المسلمين للزمان، وهو تقسيمه إلى زمان مطلق وزمان طبيعي .

فمن خلال مفاهيم السرمد والخلد والدهر الذي يعني الزمان المتطاوّل الذي ليس له بداية ولا نهاية، والذي سيرتبط بمفهوم الإلوهية ارتباطاً وثيقاً كما سنرى في الحديث الشريف، نستطيع أن نخرج بمعنى الزمان المطلق الذي لا تحده حركة ولا يرتبط بالعدد أو الحساب .

أما من معاني الليل والنهار واليوم ( بمعناه العادي وليس بمعنى أيام الخلق) والشهر والساعة وغير ذلك، نستطيع أن نتصور معنى الزمان الطبيعي الذي يرتبط بكل ذلك ارتباطاً وثيقاً كما سنرى .

(2) فكرة الخلق وما يترتب عليها من مشاكل، مثل مشكلة القدم والحدوث، والناظر إلى هذه المشكلة في القرآن الكريم يجد أن الآراء تنقسم فيها إلى قسمين: الأول يرى أن الخلق ( خلق العالم والزمان) كان من العدم، وهو موقف المتكلمين وبعض الفلاسفة كالكندي، والثاني يرى أن الآيات التي أشارت إلى الخلق في القرآن، تدل على أن هنالك وجوداً قبل هذا الوجود وزماناً قبل هذا الزمان، فيكون الزمان والعالم قديمين .

وإلى ذلك ذهب " ابن رشد" الذي استدل بالآية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . على أن هنالك

وجوداً قبل هذا الوجود، وهو (العرش والماء) ، وزماناً قبل هذا الزمان ، وهو المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك (78) .

أي أن القائلين بقدم العالم يرون أن كون عملية الخلق قد تمت في ستة أيام، فإن هذا يعني - وبغض النظر عن القيمة العددية لتلك الأيام- وجود زمان قبل خلق هذا العالم، مما يعني قدم الزمان .

ولكن "فخر الدين الرازي" قد رد على هؤلاء قائلًا : إن تلك المادة - أو الزمان - غير موجودة ، بل هي مفروضة موهومة، والدليل على ذلك أن تلك المدة حادثة، وحدوثها لا يحتاج إلى مدى أخرى ، وإلا لزم إثبات أزمنة لا نهاية لها، وذلك محال (79) .

وبما أن كلاً من الطرفين يحاول أن يجعل الأقوال سنداً من (النقل)، فإن فكرة القدم والحدوث في القرآن أصبحت نقطة انطلاق قوية لمشكلة الأزلية والأبدية ولمشكلة العلاقة بين الله والعالم والزمان كما سنرى، وأن هذا يؤكد أصالة الفلسفة الإسلامية وقدرتها على الإبداع والابتكار انطلاقاً من تراثها الروحي .

3) وردة فكرة (التقدم) ، و (التأخر) الزماني في القرآن الكريم ، وهي من الأفكار التي سيطيل الفلاسفة المسلمون النظر والنقاش فيها : هل التقدم هو تقدم بالذات أم بالزمان أم بالعلية أم بالشرف والمرتبة... إلخ، قال تعالى : «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (80)



ويرى بعض المفسرين أن (الأول) و (الآخر) هما صفتا الزمان لله تعالى وأن (الظاهر) و (الباطن) هما صفتا المكان له، ولكن هذا لا يعني أن الله موجود في الزمان ، أو أنه حال في المكان ، بل هو منزّه عنهما ، ولكن مدبر للزمان والمكان وحسب (81) .

وربما نجد أن أصداء ذلك عند أبي العلاء المعري الذي أثار مشكلة من أخطر المشاكل الميتافيزيقية وهي ، علاقة الله بالزمان والمكان .

4) كل هذه الجوانب التي أشرنا إلى بعضها فقط، والتي تعطينا تصوراً واضحاً عن معالجة القرآن الكريم لمشكلة الزمان وأصل العالم، ثم يأتي من يقول : إن القرآن لم يفصل في مشكلة الزمان وأصل العالم، ولم يعط انتباهاً للمشاكل الفلسفية التي سنعرضها فيما بعد على يد الفلاسفة والمتكلمين. (82) .

والواقع أن القرآن ليس (كتاب فلسفة) وإنما هو كتاب إلهي ، ولذا ليس من مهمته التفصيل، بل التلميح دون التصريح في كثير من الأحيان ، ومن هنا قد يكون اعتراض (عدم التفصيل) مقبولاً ، ولكن لا نستطيع أن نقبل أن القرآن لم يعط انتباهاً للمشاكل الزمانية قد وردت في القرآن وحددت معانيها بدقة، كما لاحظنا كيف أثّرت مشكلة الخلق التي سيعالجها أكثر الفلاسفة والمتكلمين المسلمين انطلاقاً من القرآن واستناداً عليه .

وسواء كان هذا الأمر أم ذاك ، فإن القرآن قد ساعد الفلاسفة والمتكلمين في إثراء مباحثهم في مشكلة الزمان ، ومكنهم من طرحها في إطار جديد يفلت من حصار الإطار اليوناني في أكثر الأحيان، ويطلع المشكلة بطابع قرآني مبين .

## (ب) فكرة الزمان في الحديث :

لقد وردت كلمة (الزمان) في الحديث الشريف كثيراً وبالنص، بينما لم ترد في القرآن نصاً، كما وردت كلمات أخرى دالة عليه مثل : الدهر، والمدة، والعصر، وغيرها من الكلمات التي تعتبر مواقيت للزمان مثل اليوم والساعة والسنة .

ونحن هنا لا نريد أن نقوم بعملية إحصاء شاملة لهذه المصطلحات الزمانية ، خوفاً من التكرار، ولأن ذلك قد يخرجنا من دائرة البحث الفلسفي، ولذا سوف نختار من الأحاديث ما كان له دلالة فلسفية متميزة، مع الأخذ بنظر الاعتبار صحة الحديث قوة إسناده ، وسوف يكون اختيارنا منقسماً إلى مجموعتين .

مجموعة وردت فيه كلمة الزمان ، وأخرى وردت فيها كلمة الدهر ، وسوف نقوم بتحليل كل مهما .

1) قال رسول الله ﷺ : " إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب " (83) .  
وقال ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى يقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة " (84)

وقال ﷺ : " يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج " (85)  
فالملاحظ في هذه الأحاديث الثلاثة ، والتي ورد فيها ذكر الزمان ، اشتراكها في فعل (الاقتراب) ، والذين تعرضوا لتفسير هذه الأحاديث ، إما أنهم يفسرونها بمعنى استواء الليل

والنهار واعتدالهما ، أو قرب انتهاء أمد الدنيا بحلول الساعة<sup>(86)</sup> ولكن أكثرهم<sup>(87)</sup> يرجح الرأي الثاني ، أي بمعنى اقتراب يوم القيامة ، فيكون الزمان مقروناً بهذا اليوم، ولو تصورنا له بداية ونهاية، فإنه في ذلك اليوم أو الحين يقترب من نهايته المحتومة وهي حلول الساعة .

ينتج من ذلك أن الزمان في الحديث الشريف أقرب إلى التصور الكلامي الديني الذي يرى أنه متناه، منه إلى التصور الفلسفي الذي يرى، بشكل عام، أن الزمان قديم وأبدي.

2) وردت كلمة (الدهر) في حديث مشهور روي على صور متعددة ، ولكنها جميعاً تؤدي إلى معنى واحد ، فقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال : " لا تقولوا خيبة الدهر ، إن الله هو الدهر"<sup>(88)</sup> وقال ﷺ : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"<sup>(89)</sup>

وجاء في الحديث القدسي : " يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"<sup>(90)</sup> .

## الختامة

في نهاية هذا البحث يمكن أن نستخلص عدة نقاط أهمها ما يلي :

1- ويبدو أن العرب في الجاهلية، انطلاقاً من وثنتهم، أو تصورهم الخاص للألوهية، كانوا ينسبون ما يحدث لهم من كوارث ونوازل ومصائب إلى قوة خفية، تتسم غالباً بالقدرة على الهدم والإفناء، وهي قوة الدهر .

فكانوا يسبون الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بهم من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون : يا خيبة الدهر ! ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر فقال لهم النبي ﷺ لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ، أي لا تسبوا فاعل النوازل ؛ فإنكم إذا سببتم وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى (91) .

2- ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو : لماذا استعمل العرب كلمة الدهر للإشارة إلى تلك القوة الخفية الهادمة للأشياء ، ولم يستعملوا لفظ الزمان مثلاً؟ .

3- ويبدو لي أن الأمر أبعد من أن يكون تقريراً لمصطلح، ولكن الرجوع إلى أصل الكلمة كما حددنا لغوياً ، قد يلقي الضوء الساطع على هذه القضية، ويعطي للحديث الشريف بعداً أعمق مما هو ظاهر .

4- وكذلك عندما رجعنا إلى القرآن الكريم وجدناه يضم إلى جانب الحقائق الدينية عناصر فلسفية وأقوالاً تقدم لنا مادة للتفكير والتأمل في مخلوقات الله من كون وقدر، ونجد أيضاً أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الأمور بدقة .

- 5- كما وجدنا أيضاً من خلال بحثنا هذا أن الفلسفة والتصوف وعلم الكلام لا يمكن أن تتعارض مع هذه الأحكام القرآنية .
- 6- وأخيراً يمكن القول بأن الفلسفة الطبيعية وردت في القرآن الكريم بشكل ضمني ؛ بردها للأمور كلها إلى الله تعالى الذي هو فاعل في صميم الخلقية ويرد إليه دائماً كل ما يحدث في هذا الكون .

## الهوامش

1. ابن منظور ، لسان العرب ، ج17 ، ص60 ، مطبعة بولاق ، 1300 هـ
2. المرجع للسابق ، ج5 ، ص413
3. سورة النساء الآية 103
4. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج16 ، ص183
5. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج16 ، ص290
6. سورة الإنسان الآية 1
7. سورة إبراهيم الآية 25
8. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج16 ، ص290
9. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج4 ، ص406
10. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج16 ، ص183
11. ابن منظور ، مرجع سبق ذكره ، ج4 ، ص34
12. الجرجاني ، التعريفات ، طبعة الحلبي ، مصر ، 1938 ، ص101
13. أبوالبقاء ، الكليات ، ص199 ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1281 هـ
14. يوسف كرم ، مراد وهبه ، يوسف شلال ، المعجم الفلسفي ، ص155
15. ابن عربي ، اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ، ص234 ، مطبعة الحلبي ، 1938 م ، وأنظر الرسالة القشيرية ، ص31
16. النهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ج6 ، ص1449 ، طبع كلكتا ، الهند ، 1892 م ، وأنظر الجرجاني ، ص220
17. أبوالبقاء ، مرجع سبق ذكره ، ص377
18. أبوالبقاء ، مرجع سابق ، ص183
19. ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات ، رسالة الحدود ، ص91 ، مصر ، 1908 م .
20. الجرجاني ، مصدر سابق ، ص97

21. أبوالبقاء، مرجع سابق، ص184
22. د. محمد عبدالمهدي أبوريده، تعليق على مادة (زمان) ، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص389
23. أبوالبقاء، مرجع سابق، ص183
24. الجرجاني، مرجع سابق ص1 ، أيضاً أبور ريده، المصدر السابق، ص389
25. الجرجاني، المرجع السابق ، ص2
26. الجرجاني ، المرجع السابق، ص11
27. الجرجاني ، المرجع السابق، ص12
28. ابن سينا ، مرجع سبق ذكره ، ص91
29. الجرجاني، مرجع سابق ، ص31
30. الجرجاني ، مرجع سابق، ص431
31. التهاوني، مرجع سابق، ج1، ص393
32. ابن سينا ، مرجع سابق ، ص101
33. الجرجاني ، مرجع سابق، ص73
34. الجرجاني، مرجع سابق، ص73
35. ابن سينا ، مرجع سابق، ص101
36. الفارابي : عيون المسائل ، ص58، تحقيق فريديرخ ديتزسي، ليدن، 1890م، وأنظر : د. فوقية حسين محمود، مقالات في أصالة المفكر المسلم، ص128، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1976م .
37. ابن سينا ، مرجع سابق، ص101
38. ابن سينا ، مرجع سابق ، ص102
39. الجرجاني ، مرجع سابق ، ص150
40. الجرجاني ، مرجع السابق ، ص150
41. الجرجاني ، مرجع السابق ، ص150

42. د. قنواقي، الكلام والتصوف والفلسفة، ضمن كتاب تراث الإسلام، ج2، ص196، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، وإحسان صدقي العمدة، طبع الكويت، 1978
43. د.قنواقي، المرجع السابق، ص197
44. د.قنواقي، المرجع السابق، ص198
45. سورة الأعراف، الآية54
46. سورة يس، الآية32
47. سورة الجاثية، الآية24
48. سورة الإنسان الآية1
49. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ص422، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة، 1970
50. أنظر فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، ج8، ص272، مصر، 1308هـ المطبعة العامرية الشرقية.
51. سورة إبراهيم الآية25
52. سورة البقرة الآية36
53. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ص323
54. سورة التوبة الآية4
55. فخر الدين الرازي، مرجع سبق ذكره، ص209
56. سورة الأعراف الآية34
57. سورة النساء الآية103
58. سورة الحجر الآية37-38
59. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج2، ص221
60. سورة العصر الآية1
61. فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ص475
62. سورة البقرة الآية71
63. سورة النساء الآية18



64. سورة القصص الآية 71، وأنظر : المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية ، ط2، 1972م
65. سورة القصص الآية 72
66. سورة يونس الآية 52
67. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج2، ص914
68. سورة سبأ الآية 30
69. سورة القصص الآية 41
70. سورة الصفات الآية 20
71. سورة الفاتحة الآية 3-4
72. سورة آل عمران الآية 25
73. سورة الأعراف الآية 14
74. سورة الأعراف الآية 54
75. سورة الفرقان الآية 59
76. سورة هود الآية 7
77. سورة السجدة الآية 5
78. ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، ص43 ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، دار المعارف ، مصر ، 1972
79. فخر الدين الرازي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص546
80. سورة الحديد الآية 3
81. فخر الدين الرازي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص152
82. د. حسام الألوسي، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، ص131
83. رواه البخاري ، و مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والدرامي .
84. رواه ابن حنبل
85. رواه أبو داود ، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه .
86. أنظر لسان العرب ، لابن منظور ، ج17، ص60

87. أنظر صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي المالكي، ج9، ط1، مصر، 1934، وانظر أيضاً صحيح مسلم بشرح النووي، ج16، ص221، مطبعة حجازي ، تحقيق ونشر محمود توفيق
88. رواه البخاري، ومسلم ، وابن حنبل ، وأنظر : الموطأ لمالك .
89. رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داوود ، وابن حنبل
90. رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داوود ، وابن حنبل
91. صحيح مسلم بشرح النووي ، ج15، ص2 ، ، وأنظر " خمس رسائل للمعري مع داعي الدعاة " ص17، المطبعة السلفية، بمصر، 1349هـ ، حيث تعرض بالشرح لحديث الدهر ، وذهب إلى نفس المعنى تقريباً .

## المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم .
- 2- الحديث الشريف .
- 3- ابن منظور ، لسان العرب، مطبعة بولاق ، 1300هـ
- 4- الجرجاني ، التعريفات ، طبعة الحلبي ، مصر ، 1938 .
- 5- أبوالبقاء ، الكليات ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1218هـ .
- 6- يوسف كرم ، مراد وهبه ، يوسف شلال ، المعجم الفلسفي .
- 7- ابن عربي ، اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية ، مطبعة الحلبي ، 1938م .
- 8- النهاوني ، كشف اصطلاحات الفنون ، طبع كلكتا ، الهند ، 1892م .
- 9- ابن سينا ، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، رسالة الحدود ، مصر، 1908م .
- 10- د. محمد عبدالمهدي أبوريده ، تعليق على مادة (زمان) ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر
- 11- الفارابي ، عيون المسائل ، تحقيق فريدريخ ديتريخ ، لندن، 1890م .
- 12- د. فوقية حسين محمود ، مقالات في أصالة المفكر المسلم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1976
- 13- د. فنواقي ، الكلام والتصوف والفلسفة، ضمن كتاب تراث الإسلام، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، وإحسان صدقي العمدة ، الكويت ، 1978.
- 14- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، ط2، القاهرة ، 1970 .
- 15- فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير ، المطبعة العامرية الشرقية ، مصر ، 1308هـ
- 16- ابن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، دار المعارف ، مصر 1972.
- 17- د. حسام الألوسي، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم .